

المناخ العام للصناعات التقليدية في الوطن العربي - قراءة في المعوقات ومقترحات المعالجة -

**The general climate of traditional industries in the Arab world
- A reading of the obstacles and proposals for treatment -**

د. طروبيا ندير

جامعة أحمد دراية - أدرار (الجزائر)، nad.troubia@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الإرسال: 2020/07/28

تاريخ القبول: 2020/09/03

تاريخ النشر: 2020/09/30

ملخص:

الصناعات التقليدية هي صناعات يدوية، يُمارسها الأفراد أو الجماعات، باستغلال المواد المتاحة وفي نطاق محدود، من أجل الحصول على العديد من المزايا المتنوعة، خاصة إذا تم استغلال تلك الصناعات بالشكل الأمثل. الهدف من هذه الدراسة هو إبراز الوضع العام الذي تعيشه الصناعات التقليدية العربية، بالإضافة إلى إلقاء الضوء على الخيارات المقترحة لتفعيل دورها الاقتصادي، وذلك باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، وكان من أهم نتائج الدراسة هو أن الصناعات التقليدية دورا تنمويا في الصناعات العربية من خلال المساهمة في الناتج المحلي الوطني وتوفير مناصب الشغل والحفاظ على النسيج الاجتماعي وتماسكه، إلا أنها تواجه تحديات حقيقية مثل شح المعلومات لدى الجهات القائمة، عدم وجود استراتيجية قومية واضحة وعجز الكيانات العملاقة الحكومية عن مساندة ذلك القطاع إلى غيرها من المعوقات والتحديات.

كلمات مفتاحية: صناعات تقليدية، حرف، إرسিকা، خليج عربي، مغرب عربي.

تصنيفات JEL : Z32, L69

Abstract :

Traditional industries are handicrafts that individuals or groups work by using available materials and in a limited field, in order to obtain many different advantages, especially if those industries are optimally exploited. The aim of this study is to clarify the general situation experienced by Arab traditional industries, in addition to shedding light on the proposed options to activate its economic role, Using the descriptive analytical method.

One of the most important results of the study is that traditional industries have a developmental role in Arab industries by contributing to the national domestic product, providing jobs, and preserving social structure and cohesion. However, it faces real challenges such as the lack of information among the responsible authorities, the lack of a clear national strategy, and the inability of the giant government entities to support that sector, to other obstacles and challenges.

Keywords: Traditional industries, crafts, IRCICA, Arab Gulf, Arab Maghreb.

JEL Classification Cods : Z32, L69,

المؤلف المرسل: طروبيا ندير، الإيميل: nadirt21@yahoo.fr

المقدمة:

إن ظروف الحياة ومقتضياتها تجعل كل واحد منا يسعى للحصول على عمل ما، مقابل دخل يمكنه من تلبية احتياجاته اليومية. ويأخذ هذا العمل صبغاً متعددة؛ فإما أن يكون وظيفة رسمية يتقاضى عليها راتباً ثابتاً، أو مهنة مقابل أجر يومي، أو حرفة يدوية، لصنع أشكال معينة من البضائع التقليدية، يتم بيعها والاستفادة من ثمنها. ويندرج الصنف الأخير من النشاط الاقتصادي تحت بند الصناعات التقليدية التي لا تقتصر أهميتها على البعد الاقتصادي فحسب، بل تمتد لتشمل أبعاد أخرى كالتاريخ والثقافة، ذلك أن الصناعة التقليدية تعكس مظهرها جوهرياً من مظاهر الحضارة البشرية، ووسيلة أساسية للتعبير عن هوية وثقافة المجتمع.

غالباً ما تنتشر الصناعات التقليدية في مناطق محدودة الموارد كالقرى والأرياف، أين تُشكل مصدراً من مصادر العيش الأساسية لغالبية السكان، إلا أن هذا لا ينفي تواجدها في المدن الكبرى، حيث تكون على شكل مؤسسات مصغرة، تتولى عملية إنتاج السلع التقليدية، كالمنسوجات والأواني وغيرها لتلبية احتياجات السوق المحلية. ولكونها مؤسسات مصغرة، فسيكون لها دوراً جوهرياً في تحريك دواليب الاقتصاد وخلق تنمية اقتصادية حقيقية، الأمر الذي يصل بنا إلى طرح الإشكالية التالية:

ما الوضع العام الذي تعيشه الصناعات التقليدية العربية وما الخيارات المقترحة لتنشيط دورها الاقتصادي؟

فرضيات الدراسة:

ترتكز الدراسة على فرضية أساسية وحيدة وهي أن الصناعات التقليدية في الوطن العربي تعاني جملة من المعوقات المترابكة نتيجة تغير النمط المعيشي للأفراد.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من الأهمية التي تحظى بها الصناعات التقليدية في المجتمع، فهي تحمل في ذاتها قيماً تاريخية وحضارية وثقافية متجذرة، وهي وسيلة للحفاظ على الهوية القومية وضمان استمرارية العادات والتقاليد للمجتمع، وهذا إلى جانب الدور الاقتصادي المتمثل في معالجة بعض المشاكل الاقتصادية كالتخفيف من البطالة وتأمين الموارد المالية لفئة معتبرة من السكان، ولذا من الأهمية بمكان دراسة البيئة المحيطة بالصناعات التقليدية العربية، والتخمين في السبل الكفيلة بضمان استمراريته وتحقيق الأهداف المرجوة منها.

أهداف الدراسة:

سنحاول من خلال الدراسة التركيز على بعض الأهداف من أهمها:

- إبراز المفهوم الشامل للصناعات والحرف التقليدية.
- عرض شمولي لواقع الصناعات التقليدية في الوطن العربي، خصوصاً دول الخليج والمغرب العربي.
- إبراز الحلول المقترحة لمعالجة المشكلات التي تعاني منها الصناعات التقليدية في الوطن العربي.

منهجية الدراسة:

وقع اختيارنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وهو أحد المناهج العلمية الملائمة لعرض الجوانب النظرية للصناعات والحرف اليدوية وتحليل مضامينها والبيئة الاقتصادية والاجتماعية المحيطة بها، وتم كذلك استخدام المنهج الاستقرائي لاستقراء الدراسات والأدبيات وكذا المراجع التي تناولت جوانب مختلفة للصناعات التقليدية.

الدراسات السابقة:

إن جل الدراسات السابقة التي صادفنا حول الموضوع عبارة عن مقالات علمية في المجلات أو على المواقع الإلكترونية، ومن ضمن الدراسات ما يلي:

1. دراسة (عبد الراشد و خضير، 2008): كان الهدف من الدراسة هو دراسة الصناعات الحرفية في قضاء أبي الخصيب والتعرف على أهم أنواعها وخصائصها وعوامل توطنها، وكذا دراسة توزيعها الجغرافي وأهم المشاكل التي تواجهها. وخلصت في النهاية إلى مجموعة من النتائج تتلخص في أن الصناعات الحرفية في قضاء أبي الخصيب تصل إلى 11 نوع وتنتج العشرات من السلع والأدوات، وبتكلفة منخفضة، وأن أغلب سلعها تستخدم في الأنشطة التي تمارس في القضاء مثل الزراعة والصيد والنقل. وتعاني الصناعات المحلية هناك بعض المشاكل منها عدم وجود جهات ترعى مصالح هذه الصناعات ومتابعة مشكلاتها وغياب الدعم المالي لها، واشتداد منافسة السلع الأجنبية المستوردة لها.

2. دراسة (المسعودي، 2019): تجلت مشكلة الدراسة في وجود صناعات تقليدية في محافظة النجف الأشرف لم يتم دراستها والاهتمام بها لمعرفة دورها في تنمية القطاع السياحي. وقد توصلت الدراسة إلى أن الصناعات التقليدية والحرف الشعبية في محافظة النجف الأشرف كثيرة التنوع ومتعددة الأنواع والأصناف، وهي تلعب دورا مهما في اقتصاديات المحافظة.

3- دراسة (بزي، 2011): كان الهدف من الدراسة هو إعطاء صورة عن واقع الحرف التقليدية الذي يمدنا بمعطيات تمثل جانبا حضاريا لشعب معين، وتدلنا على تاريخه وذوقه الفني وإبداعه وعاداته وتقاليده ومراحل تطوره، وفق نظرة انثروبولوجية تاريخية. ومما توصلت إليه الدراسة هو أن الحرف تعبر عن القضايا المعرفية في مجتمعنا، وانطلاقا من دراستها الميدانية الواقعية بأبعاد مختلفة، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية وسياسية للوصول لآطار نظري، والنظرة المرتكزة لتجارب ميدانية تكون أكثر صدقا وتعبيرا للواقع.

4. دراسة (Atieh, 2013): كان الهدف من الدراسة هو تحليل أسباب تراجع الحرف اليدوية وتضاؤل أهمية الأسواق التراثية بشكل عام من منتصف القرن الماضي في كل من دمشق وحلب ودير الزور، وتقديم رؤية لتطوير هذه الحرف. وانطلقت الدراسة من فرضية أن هناك علاقة طبيعية بين الحرف اليدوية وأسواقها التراثية من جهة والسياحة من جهة أخرى، وتوصلت في النهاية إلى جملة من النتائج أهمها: أن الصناعات التقليدية السورية تتميز بالأصالة والدقة والجودة والجمال، وتعبر عن مرجعية اجتماعية، وإن من الضروري استخدام المنتجات اليدوية التقليدية في الحياة اليومية، وتوظيفها في المجال السياحي لزيادة الدخل الوطني وتوفير فرص العمل للشباب المبدع.

1- الفروع النظرية للصناعات التقليدية:

إن ما يتولد عن الصناعات التقليدية من منتجات، هي في الأساس تُشكل الخلفية التاريخية للمجتمعات وعنصر تميزها، فضلاً عن كونها مظهر من مظاهر النشاط الإنتاجي، ولعل من الضروري الوقوف على الجوانب النظرية لهذه الصناعة.

1-1- مفهوم الصناعات التقليدية:

هناك العديد من المفاهيم للصناعات التقليدية، والبداية مع موسوعة أوكسفورد Oxford، التي أشارت إلى أن "مصطلح (الصناعة التقليدية) عادة ما يُطلق على طرق إنتاج الحرف اليدوية في فترة ما قبل الصناعة واستمرار مثل هذه الأشكال من التصنيع حتى أثناء نمو التصنيع القائم على المصانع". (Oxford Encyclopedia, 2008) وفي تعريف أوسع نجد أن الصناعات التقليدية هي "صناعات محلية يغلب عليها الطابع اليدوي، وهي شعبية متوارثة بين أفراد الأسرة تمارس في البيوت أو في أي مكان آخر، وعادة ما تعتمد هذه الصناعات على الامكانيات الطبيعية والبشرية المتاحة لغرض الحصول على مجموعة من السلع والمنتجات لتحقيق منافع تكون أكبر قيمة من الامكانيات المستخدمة لأجلها (عبد الراشد و خضير، 2008، صفحة 67).

المقارنة بين التعريفين تبين أن كلاهما يتفقان على أن الصناعة التقليدية هي صناعة يدوية، غير أن الثاني يضيف أنها صناعة متوارثة بين الأجيال داخل الأسرة الواحدة، وتمارس في البيت أو في أي مكان آخر باستخدام مواد أولية محلية، لخلق سلع ذات قيمة أكبر يتم تسويقها.

ويمكن أن نصادف تعريفات أخرى تحاول أن تلامس نقاط أشمل في مدلولها للصناعات التقليدية، مثل المفهوم الذي أقره مركز دراسات المملكة العربية السعودية حينما قال أن الصناعات التقليدية هي " تلك الصناعات اليدوية التي يقوم بمزاولة فرد أو مجموعة أفراد لغرض إنتاج أو تصنيع منتجات حرفية من المادة المحلية الطبيعية بالطرق التقليدية بهدف استخدامها في الاحتياجات اليومية للأفراد أو المنشآت أو لغرض الاقتناء الدائم أو المؤقت، ويعتمد الحرفي في عمله على مهاراته الفردية الذهنية واليدوية التي اكتسبها من تطور ممارسته للعمل الحرفي باستخدام الخامات الأولية المتوفرة في البيئة الطبيعية المحلية" (مركز دراسات المملكة العربية السعودية، 2017).

وفي نظر المنظمات الدولية، فإن تعريف منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية UNIDO للصناعات التقليدية يتفرع إلى أربعة أصناف رئيسية وفقاً للسوق التي تُسوق فيها منتجاتها، ومضمون المفاهيم الأربعة ما يلي (المسعودي، 2019، صفحة 473):

- أ- الحرف التقليدية الجميلة: وهي التي تحمل في ثناياها الخصائص العرقية والتراث التقليدي، وتكون ذات طابع فريد من نوعه، تُنتج بالوحدة ويتم عرضها في المتاحف والمعارض الفنية، وهي تستهدف رجال الأعمال ومحبي القطع الفنية المميزة.
- ب- الحرف التقليدية: يكون الإنتاج يدوياً باستخدام أساليب ومواد أولية تقليدية، الفرق بينها وبين الحرف التقليدية الجميلة هو أن الحرفيين يلجؤون إلى المساعدة من طرف مصممين لمساعدتهم على ضبط المنتج حسب متطلبات السوق، مع ضمان ظهور الخصائص العرقية والخلفية التاريخية والحفاظة عليها، ويمكن أن يكون الإنتاج بكميات معتبرة.

ج- الحرف التجارية: تكون مخرجات عبارة عن سلع تقليدية، تتماشى مع أذواق واحتياجات السوق، وذو صبغة عصرية استجابة لمقتضيات الموضة، تستهدف الفئة الأجنبية من الزبائن، وتُنتج بكميات كبيرة وبوسائل وأساليب أكثر تطوراً، ويتم عرضها في المحلات والأروقة التجارية.

د- الحرف المصنعة: وتشمل كل نماذج الصناعة التقليدية المعاد إنتاجها بواسطة الآلات التكنولوجية، تُنتج بكميات كبيرة، ولا تُولي اهتماماً كبيراً للصبغة التقليدية للمنتج.

وانطلاقاً مما سبق يمكن القول أن الصناعة التقليدية هي صناعة يدوية، يتوارثها الأجيال وتُمارس في نطاق معين، وباستخدام أساليب وأنماط إنتاجية تقليدية، وباستهلاك مواد أولية بسيطة ومتاحة محلياً، بهدف إنتاج سلع مميزة تعكس تاريخ وثقافة مجتمعاتها.

1-2- خصائص ومميزات الصناعات التقليدية:

تنفرد الصناعات التقليدية بمجموعة من الخصائص التي تجعل منها صناعة ذات أهمية كبيرة في الاقتصاد، ومن تلك الخصائص ما يلي (عبد الراشد و خضير، 2008، صفحة 78):

- اعتمادها على المتوارث من فنون تصنيعية متوارثة منذ أجيال متعاقبة؛
- فضاء واسع لخلق فرص عمل، واحتضان القوة العاملة خاصة النسوية منها، وهي وسيلة لاستغلال الإبداعات والابتكارات؛
- اعتمادها على المواد الطبيعية البسيطة المتاحة في مواقع توطنها.
- 4- المساهمة في تلبية الاحتياجات الميزية اليومية ورفد الأنشطة الأخرى كالزراعة والصيد والنقل بما تحتاجه من سلع وأدوات.

1-3- المراكز الأساسية للصناعة التقليدية:

يرى بعض الخبراء أن دراسة الصناعات التقليدية لأي مجتمع مرتبطة بتجدر خمس عوامل أساسية، تشكل في مجملها الإطار التاريخي، الجغرافي، الثقافي وحتى الاقتصادي للحرف والصناعات التقليدية، ويمكن من خلالها بناء تصور كامل عن تلك الصناعات، وتمثل تلك العوامل، والتي في الأساس مراكز، فيما يلي (بزي، 2011، الصفحات 133-137):

1-3-1- الانتشار: غالباً ما تنشر صناعة تقليدية معينة في منطقة أو مكان معين، وأغلب الأسر هناك تمارس نفس الحرفة، مما يشكل روابط اجتماعية بين السكان تمتد إلى الجانب الاقتصادي، أساسها المصالح المشتركة، وللجانب الجغرافي دور في الانتشار أو الترابط، فالحرفة التقليدية المنتشرة تعتمد على مادة أولية شائعة الانتشار وذات تكلفة منخفضة، وان وجدت صناعة تقليدية أخرى، فستكون في علاقة تكاملية بينها وبين الصناعة الأولى.

1-3-2- القِدَم: تتميز الصناعات والحرف التقليدية بتاريخها العريق، لدرجة أنه من غير الممكن أحياناً معرفة الحقبة الزمنية التي ظهرت فيها أو المنسب في ظهورها، وإنما هي صنعة يتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل، تحت تأثير المعتقدات الثقافية أو حتى الظروف الاجتماعية لمجتمعاتها.

1-3-3- التغير: في الوقت الذي تشهد فيه بعض الصناعات التقليدية نمواً وازدهاراً، نجد البعض الآخر قد اندثر واختفى ولم يعد له وجود، وهما وجهين لحركة التغير التي تتعرض لها كل الصناعات التقليدية في العالم، غير أن المهم هو البحث عن أسباب زوال تلك الحرف التقليدية، وهي عديدة ومتعدد مثل غياب مؤسسات الدولة التي تُعنى برعاية هذه الحرف، أو عدم

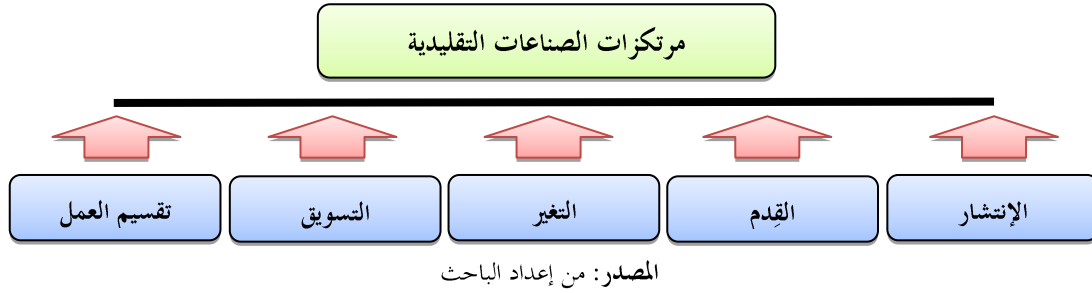
إنشاء تعاونيات حرفية، أو عدم إدخال أصحابها في الضمان الاجتماعي أو الصحي، ناهيك عن الخلل في بنية الاقتصاد الوطني ببروز قطاعات إنتاجية على حساب قطاعات أخرى، أو أن الحالة الاقتصادية والمعيشية للحرفي أثرت على مدى إبداعه وعطاءه وإتقانه وحبه للصناعة التي يمارسها.

1-3-4- التسويق: إن من الأمور التي تُؤرق أصحاب الصناعات التقليدية هي إمكانية تسويق منتجاتهم، وبما أن اغلب المنتجات تسوق محليا، فإن حجم السوق يحدد مصير الحرف والصناعات التقليدية، فإذا كانت السوق كبيرة والطلب متزايد، ازدهرت الصناعة ونمت وأصبحت تستقطب الأيدي العاملة وفتحت فروعاً إضافية، أما لو تقلص حجم السوق فسيؤثر سلباً على مستقبل الصناعة.

1-3-5- تقسيم العمل: إن تطور النظم الاقتصادية انعكس هو الآخر على طبيعة الصناعات التقليدية، حيث أصبح مفهوم تقسيم العمل ينتشر شيئاً فشيئاً بين تلك الصناعات، فأى حرفة معينة تستقدم مستلزماتها من حرفة تقليدية مجاورة، فبدلاً من يقوم الحرفي بإعداد بدلة تقليدية بكل مستلزماتها، سيتخصص مثلاً في إنتاج القمصان، وغيره في إنتاج الأحذية المناسبة لها أو القبعات وغيرها.

والمخطط الموالي يعرض الأساسات الخمسة لدراسة مكنون الصناعات التقليدية للمجتمعات الانسانية

الشكل (01): المرتكزات الأساسية للصناعات التقليدية



1-4- أنواع الصناعات التقليدية اليدوية ومخرجاتها:

المعروف عن الصناعات التقليدية أنها تهتم بإنتاج جميع السلع ذات الاستخدام اليومي وغير اليومي وفي جميع المجالات، وبالتالي فإن هذا الفضاء الواسع للصناعات التقليدية أدى إلى اختلاف تصنيفها أو تمييزها خصوصاً في الدول العربية، إذ أن بعض الدول تصنف الصناعات اليدوية على أساس التوزيع الجغرافي للمناطق، والبعض الآخر يصنفها على أساس نوع الخدمة، كما أن هناك من يصنفها حسب العادات وكثافة السكان... إلى غيرها من التصنيفات، إلا أننا سنقتصر على اتجاه واحد في التصنيف والذي يستند إلى نوع الخامات أو المواد الأولية المستخدمة في التصنيع حسب ما يُظهره الجدول التالي:

الجدول (01): أنواع الصناعات التقليدية ومخرجاتها

نوع الصناعة	عينة من منتجاتها
الصناعات التقليدية التي خاماتها من مواد نباتية.	صناعات المنتجات الخشبية اليدوية، صناعة منتجات الخوصيات (من النخيل)، حرفة الأقفاص، المنتجات الليقية، صناعات الحصر والمداد، صناعات الأعشاب والنباتات العطرية، صناعة السفن والقوارب الخشبية.
الصناعات التقليدية التي خاماتها من مصادر حيوانية.	صناعة المنتجات الجلدية، صناعة الأحذية اليدوية، صناعة النسيج - السدو، صناعة الاغطية والمعاطف، النقش على القرون والعظام.
الصناعات التقليدية التي خاماتها من مصادر معدنية	الفخار وصناعة الخزف، صناعة المنتجات الحجرية، صناعة الأحجار الكريمة، صناعة الجبسيات، الحلبي والمشغولات الفضية اليدوية، السيوف والخناجر، صناعة الأواني النحاسية اليدوية
الصناعات التقليدية التي خاماتها من مصادر تكاملية.	صناعات المباخر الخشبية، صناعة التلييس للسيوف والخناجر، صيانة البنادق وصناعة كعوبها، الحياكة وتجليد الكتب،
الصناعات التقليدية التي تكون مهنية لتحسين صناعة منتج حرفي أو خدمة حرفية.	صناعة الدباغة، الحياطة والتطريز اليدوي، صناعة عصر واستخراج زيت السمسم، الجز والغزل للصفوف والوبر، صناعة دهن العود، صناعة دهن الورد واستخلاص ماء الورد، البناء بالحجر أو الطين أو كلاهما بالطرق اليدوية. الخط العربي والرسم والنقش والزخرفة، صناعة الأختام.
الصناعات التقليدية التي تكون منتجاتها غذائية.	صناعة الحلويات اليدوية، صناعة الدبس من التمر، صناعة اللبان، وإفرازات الأشجار، صناعة العسل.

المصدر: من إعداد الباحث استناد إلى: الحرف اليدوية، بحث منشور بتاريخ 2017/04/27 على الموقع

<http://iamanindustrialcraftsmanaaa.blogspot.com/2017/04/blog-post.html> شوهده يوم 2020/07/20

الملاحظ في الجدول أن جلّ الصناعات التقليدية تعتمد على خامات نباتية أو حيوانية، مما يعني خلو منتجاتها من مواد كيميائية أو إشعاعية خطيرة، وأن جميع منتجاتها صحية وذات فائدة كبيرة، وهذا الميزة تجعل من الصناعات التقليدية ذات أهمية بيئية واجتماعية كبيرة، تساهم في الحفاظ على التوازن البيئي وتحقيق متطلبات التنمية المستدامة.

2- تحديات الصناعات التقليدية في الوطن العربي وخيارات تأهيل وتمكين أدوارها الاقتصادية:

الصناعات التقليدية هي فرع من فروع الصناعة، بحاجة دائمة إلى الدراسة والتمحيص لثمين نقاط القوة ومعالجة نقاط الضعف، ولاشك أن الصناعات التقليدية العربية تواجه العديد من المشاكل فرضتها ظروف الحياة المعاصرة، مما يستدعي قراءة أكاديمية لتلك المشاكل واقتراح الحلول الملائمة لها.

2-1- البيئة الشمولية لممارسة الصناعات التقليدية في الوطن العربي

يزخر الوطن العربي بأصناف وأشكال من الحرف والصناعات التقليدية الفريدة، تعود بعضها إلى أزمنة غابرة، منها ما هو مشترك بينها، ومنها ما تتميز به كل دولة عن الأخرى، وسنحاول في هذه الجزئية الوقوف على الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تتخبط الصناعات التقليدية العربية عموماً، خاصة دول الخليج والمغرب العربيين.

2-1-1- الصناعات التقليدية في منطقة الخليج العربي:

من أكثر الصناعات التقليدية شيوعاً في المنطقة هو ما يتعلق بالنجارة والحدادة والصيد، وهناك تباين بين الدول في درجة ارتباطها بهذه الصناعات، ففي الوقت الذي نجد فيه دول مثل اليمن وعمان أين تعرف الصناعات اليدوية انتشار

وازدهار، نجد باقي دول المنطقة تعاني من تراجع لتلك الصناعات، ووقوعها تحت كم هائل من الضغوط والتحديات، واخذ البعض منها في التلاشي والاندثار مع بداية السبعينات من القرن الماضي، والسبب في ذلك الطفرة النفطية التي ساهمت في تحسين مستوى معيشة الأفراد الذين تحولوا إلى مزاولة النشاطات الأقل جهدا والأكثر مدخولا واقتناء السلع المستوردة ذات التقنية العالية، مما جعل الحكومات الخليجية تسرع إلى إنشاء نماذج حية للمدن التراثية وتؤسس لمهرجانات شعبية وتصدر مصبوعات تركز للتراث لتعكس فنونها المحلية (مهران، 2014، صفحة 163).

2-1-2- الصناعات التقليدية في منطقة المغرب العربي شمال إفريقيا:

السمات المشتركة لدول المغرب العربي انعكست بشكل كبير على طبيعة وأشكال الصناعات التقليدية الموجودة، واغلب الحرف اليدوية التي يمارسها السكان تتعلق بمنتجات الجلود والطين والحجر والنسيج والمصنوعات النباتية والأدوات وغيرها، ويتبوأ قطاع الصناعات التقليدية أهمية كبيرة في المغربي العربي للدور الاقتصادي الذي يلعبه خاصة في المغرب، حيث يشكل 19% من الناتج المحلي الخام، وثاني أكبر مشغل لليد العاملة، ويساهم في إعالة ثلث الساكنة المغربية (مهران، 2014، صفحة 164).

وتحظى المنتجات التقليدية لدول المغرب العربي برواج عالمي مقارنة بالمنتجات الأخرى للدول العربية، ويرى البعض أن نجاح تنافسية الصناعات التقليدية والحرفية في المغرب العربي راجع إلى توحيد الجهود من خلال مؤسسات ترعى التراث والإبداع الحرفي، ووجود تبادل معرفي وترابط واضح بين وزارات الدولة في هذا المجال مثلما يعكسه الجدول التالي:

الجدول (02): مظاهر التكامل بين الصناعات التقليدية والمؤسسات الحكومية

المؤسسة	الخدمات المقدمة لمساندة الصناعات التقليدية
الثقافة والأعلام	القرية التراثية، البرامج والمهرجانات للحرف التقليدية، التوثيق للحرف الوطنية.
الإذاعة والتلفزيون	المسلسلات المعززة للصناعات التقليدية، الدعاية والإعلانات المعززة لدور للصناعات الحرفية.
الإحصاء	تسجيل المهن الحرفية ومراقبة الإحصائيات الخاصة بذلك.
المطار والسوق الحرة	التعاون في تعزيز المهنة سواء من خلال الشراء المباشر للمنتجات وبأسعار مُنظمة، وتحقيق الربحية والعائد للطرفين، بناء بيوت الطين والنخيل داخل المطار مع العروض الحية للصناعات الحرفية التي تعزز السياحة والسمة.
الموانئ	عمل العروض الحية في السفن الزائرة.
الأشغال والبلديات	مختبرات تدعم فحص المواد المحلية المصنعة.
وزارة الخارجية	التسويق السياحي للمنتجات الحرفية الوطنية من خلال الهدايا والمعروضات التي تبتناها السفارات.
الصناعة والتجارة	الحاضنات للصناعات الحرفية، مراكز بيع الصناعات الحرفية، المطبوعات المتخصصة عن الصناعات الحرفية، المراقبة للمواصفات والمقاييس لضمان الجودة ورفع الثقة بالمنتجات الحرفية المحلية.
التنمية الاجتماعية	برنامج الأسر المنتجة، برنامج المشاريع المتناهية الصغر، مراكز ومنافذ بيع مخصصة للأسر المنتجة، المراكز الاجتماعية التي تستقطب الأسر المنتجة، مراكز التطوير لمنتجات الأسر المنتجة، برامج الإنتاج للمعاقين وكبار السن.

المصدر: بو حجي، محمد جاسم، بذور على طريق التنافسية: نحو جيل جديد من الحكومات المهمة، منتدى المعارف، بيروت، 2013، ص 292

وعلاوة على ذلك، فإن الصناعات التقليدية للمغرب العربي تلقى رواجاً كبيراً حتى في الأسواق الخليجية، خاصة المنتجات المغربية حيث استحوذت السوق الخليجية على نسبة 29% من إجمالي الطلب على تلك المنتجات، لتحتل بذلك

قائمة الأسواق المفتوحة أمام صادرات هذا القطاع المغربي في 2017، تليها السوق الأمريكية بنسبة 23% لنفس السنة، الأمر إلى ساهم في نمو صادرات المغرب من الصناعة التقليدية بنسبة 32.5% خلال العام 2017 (موقع مباشر، 2018).

3- أهمية الصناعات التقليدية وإسهاماتها الاقتصادية:

للصناعة التقليدية أهمية جوهريّة نابعة من البعد الثقافي والحضاري وحتى التاريخي للمجتمع، فهي تعكس فصولاً متعاقبة من التفاعل الإنساني مع محيطه، وما يترتب عنه من قيم ومعتقدات حضارية، ومستودع لسلسلة من التجارب اليومية والخبرات الحياتية التي طبعت الذاكرة القومية للمجتمع، وهي صناعات قابلة للتوسع والانتشار حتى لأصغر وحدة عمرانية، ولها القدرة على احتواء فروع متنوعة في مجالات اقتصادية متعددة، كصنع الغذاء والأدوية والمنسوجات والفخار إلى جانب الصناعات التي تتعلق ببناء المساكن والمنشآت وإقامة السدود وحفر الآبار وغيرها (محمد، 2018، صفحة 06).

وتعتبر الصناعات التقليدية السبيل الأمثل لاحتواء القدرات والإمكانات المحلية، وتستطيع أن تستوعب حجم معتبرا من القوة العاملة، مع تدريبهم وتأهيلهم وتوفير مصادر الدخل لهم، إذ ينظر للصناعات الحرفية كفرصة سانحة لرفع الدخل وخلق سياسة الاعتماد على الذات خاصة في المجتمعات ذات المستوى المعيشي المنخفض، على سبيل المثال لا الحصر بلغ عدد مؤسسات الحرف التقليدية المقيدة في السجل التجاري الصناعي بالهيئة المصرية العامة للتصنيع حوالي 2036 مؤسسة، توفر 32 فرصة عمل (إبراهيم، 2019).

وبما أن الصناعات التقليدية تساعد في القضاء على شبح البطالة من خلال خلق فرص عمل لشريحة كبيرة من الأفراد، فهي بذلك تساهم في نمو الناتج المحلي الإجمالي والتدفق الداخلي للعملة الأجنبية من خلال ما يقتنيه السواح من سلع وخدمات، وتشهد هذه الصناعات إقبالا كبيرا من مختلف شرائح المجتمع، خاصة في دول جنوب شرق آسيا، المتقدمة منها والنامية (الشامسي، 2003).

4- تحديات الصناعات التقليدية والحد من فرص استدامتها:

مع مرور الوقت وتطور الحياة وتشعبها، أصبحت الصناعات التقليدية تواجه الكثير من التحديات التي تفرضها العولمة مما يهدد بقاءها، فالإنتاج الضخم سواء على مستوى الشركات الكبرى المتعددة الجنسيات أو الصناعات المنزلية المحلية، كثيراً ما يوفر السلع الضرورية للحياة اليومية بتكلفة أقل، من حيث المال والوقت، مقارنة بالإنتاج اليدوي، ويكافح كثير من الحرفيين للتكيف مع هذه المنافسة، كما تؤثر الضغوط البيئية والمناخية على مهارات الفنون الحرفية التقليدية أيضاً، إذ تؤدي إزالة الغابات وقطع الأشجار إلى الحد من توافر الموارد الطبيعية الأساسية. وحتى في الحالات التي تتطور فيها المهارات الحرفية التقليدية لتصبح صناعة منزلية، فإن زيادة حجم الإنتاج يمكن أن تسبب في الإضرار بالبيئة (اليونسكو، 2002).

الكثير من الحرفيين وممتهني الصناعات التقليدية أصبحوا غير قادرين على مواجهة ظروف الحياة العصبية بما يتحصون عليه من دخل من بيع منتجاتهم، جراء عزوف الناس عن طلب المنتجات التقليدية لمختلف المناسبات الدينية والثقافية، مما دفع بالحرفيين إلى التماس العمل في المصانع أو في قطاع الخدمات، حيث العمل أقل قساوة والأجر أفضل في كثير من الأحيان، إضافة إلى أن الكثير من التقاليد الحرفية تتضمن أسراراً للحرفة يتعين عدم تلقينها للغرباء، ولكن المعارف هذه يمكن أن تختفي

تماماً إذا لم يتوفر من أفراد الأسرة أو الجماعة من لديه الاهتمام بتعلمها، لأن تلقينها للغرباء يشكل انتهاكاً للتقاليد (اليونسكو، 2002).

وعلى المستوى العربي فإن هناك من العقبات والمشكلات تواجه ازدهار قطاع الصناعات التقليدية، ومن أهم هذه العقبات ما يلي (إبراهيم، 2019):

- شح المعلومات لدى الجهات القائمة على تنمية تلك الحرف؛
- غياب إستراتيجية قومية شاملة لتطوير تلك الحرف؛
- عدم وجود برامج تستوعب طاقات الشباب المهياً للعمل في قطاع الحرف اليدوية؛
- عزز الكيانات العملاقة الحكومية عن مساندة ذلك القطاع؛
- ضعف البنية التنظيمية لقطاع الصناعات التقليدية؛
- غياب البرامج التي تخدم تنمية الصناعات التقليدية من التعليم الفني؛
- المناخ الثقافي السائد من عدم احترام كل ما هو موروث أو محلي بما في ذلك الحرف التقليدية، والذي تغذيه أجهزة الإعلام ليكون العقبة الثقافية والمجتمعية أمام صناعة الحرف اليدوية.

5- سبل النهوض بالصناعات التقليدية لتعزيز بنية اقتصادية متنوعة ومستدامة:

الاستراتيجيات المنشودة لتأهيل الصناعات التقليدية (خاصة في الدول العربية) تكمن فيما يلي (الفضلي، 2012، صفحة 1327):

- 1- التركيز على الموازنة الواعية بين مقومات الأصالة ومستلزمات التكيف مع الواقع الاقتصادي المتجدد، وبهذه الطريقة سنضمن أولاً ترسيخ تراث الصناعات التقليدية الحامل للهوية، وثانياً تبيين هذا التراث بمضامين جديدة؛ ذلك أن التراث هو عنصر ثابت غير متغير، إلا أنه قابل للتجدد والتطور مسيرة لتطورات العصر ومتطلباته.
 - 2- العمل على نقل التكنولوجيا والاستفادة منها فيما يتعلق باختيار منهج معين لتحسين أساليب التصنيع، ومن ثم تسويق البضاعة ورفع مستواها كما ونوعاً، مع مراعاة ضرورة الحفاظ على الأصالة الثقافية للصناعات والحيلولة دون تدني مستواها.
 - 3- للكثير من الصناعات التقليدية منهج قديم ومحدد للتعليم والتدريب، وهو السر في نجاحها، لذا وجب التركيز على تدعيم هذه المناهج، وكذا تدعيم الأسواق المحلية التقليدية للمنتجات الحرفية، إلى جانب إنشاء أسواق جديدة، والعمل على ضمان توفير المواد الأولية لهذه الصناعات مثل غرس الأشجار وتوفير المعادن وغيرها (اليونسكو، 2002).
 - 4- بناء إطار قانون جاد لحماية الحرفيين ومنتجاتهم مثل حماية الملكية الفكرية وتسجيل البراءات أو حقوق النشر، تشجيع الإنتاج الحرفي، ومساعدة الجماعة المعنية على الاستفادة من رموزها وحرفها التقليدية (اليونسكو، 2002).
 - 5- العمل على تجسيد رؤية شاملة تقوم على توحيد الجهود وإنشاء هيئة قومية لمساندة هذه الصناعات ودعمها وتكوين قواعد بيانات عنها والتواصل مع الهيئات الدولية المعنية، وتوفير الخدمة الاستشارية المجانية للصناع الحرفيين (إبراهيم، 2019)
- وتجدر الإشارة إلى أن هناك اهتمام عربي مشترك لتطوير وتأهيل الصناعات التقليدية في البلدان الإسلامية عموماً والوطن العربي خصوصاً، ولأجل ذلك عُقدت الكثير من الندوات والمؤتمرات الإقليمية من قبل المنظمات العربية والإسلامية،

ساهم في تنظيم العديد منها مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسطنبول "إرسিকা" IRCICA، بالتعاون مع دول إسلامية وعربية منها ما هو في دمشق عن فنون الزخرفة في حرف العالم الإسلامي، أو في أصفهان عن علاقة الفنون بالحرف الإسلامية، أو في تونس عن السجاد التقليدي والكليم في العالم الإسلامي، وفي أصيلة عن اكتشاف الفنون الإسلامية (أبو اليزيد، 2007).

فقد شارك مركز "إرسিকা" في إقامة المؤتمر الدولي الذي تناول الفنون والحرف الإسلامية المنعقد في أكتوبر 2002 بمدينة أصفهان، وبالتعاون مع وزارة الثقافة والإرشاد في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، إلى جانب المساهمة في إقامة المؤتمر الدولي حول السياحة والحرف اليدوية الذي نظمتها الهيئة الوطنية العليا للسياحة في نوفمبر 2006 بمدينة الرياض، حيث تمحورت أهم الخطوط العريضة للمؤتمرين في الدعوة إلى (الانصاري، 2019):

أولاً. على المؤسسات المالية تخصيص جزء من الموارد المالية لتقديم الدعم اللازم لقطاع الفنون والحرف اليدوية من أجل تخصيصه واستمرار إبداعه وتحسين الوضع المعيشي للحرفيين في العالم العربي.

ثانياً. تطوير المشاريع الرامية إلى تحسين جودة الأعمال الفنية بالتعاون مع مراكز ومؤسسات التعليم العالي في مجال الحرف والصناعات التقليدية.

ثالثاً. الدعوة لتكثيف الجهود لإثارة الانتباه المحلي والإقليمي والدولي لأهمية قطاع الصناعات والحرف اليدوية، كإشعاع حضاري إنساني، والعمل على إحيائه وتوفير كل وسائل الدعم اللازم له.

رابعاً. توفير فرص التدريب والتكوين العام للحرفيين في الدول المختلفة، لرفع مستوى مؤهلاتهم بما يمكنهم من التعامل مع تحديات المنافسة، التي تصبغ العصر الحديث، والدعوة إلى إنشاء مدارس وكرليات تضم بالإضافة إلى الحرفيين المهندسين المعماريين والمصممين التقليديين، وخبراء التسويق، بما يؤدي إلى التشاور المستمر وتبادل الخبرات والتجارب، ومتابعة التكنولوجيا والمواد الحديثة وغيرها.

ويضيف آخرون أن تنمية الصناعات والحرف اليدوية يتطلب دراسة المنظور الاجتماعي والثقافي والتراثي والاقتصادي لهذه الحرف، وإظهار جماليتها وقيمتها والتأكيد على الهوية الوطنية، وإثراء الذاكرة الثقافية من خلال الترويج العلمي لهذا التراث الشعبي، وعلاقة الحرف بالعادات والتقاليد في مجتمعاتها، ضمن دعوة لإعادة استخدام المنتجات اليدوية كحاجة حياتية، إلى جانب توظيفها في المجال السياحي لزيادة الدخل الوطني للدول (Atieh, 2013, p. 28).

* هو مركز ثقافي تابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، أنشئ سنة 1982 في اسطنبول بتركيا، هدفه الرئيسي هو الحفاظ على التراث الإنساني والثقافي من خلال البحث والنشر والتوثيق ووضع البرامج التطويرية للفنون والصناعات اليدوية، والمساهمة في إيجاد الآليات والسبل الكفيلة بضمان التعايش بين الثقافات.

الخاتمة:

وختاماً يمكن القول أن الصناعات التقليدية تشكل لبنة أساسية لبناء الاقتصاد الوطني للعديد من الدول، لما تُوفّره من مزايا كثيرة تلائم مقومات تلك الدول، كالاكتفاء على المواد المحلية، عدم الحاجة إلى مصانع كبيرة ومكلفة، تغطية احتياجات السوق المحلية واحتواء نسبة كبيرة من الأيدي العاملة. وفي الدول العربية أصبحت الصناعات التقليدية تعاني من تراجع ومنها ما هو في طريق الاندثار نظراً للعديد من المعوقات والمشاكل التي تواجهها.

وهي الظروف التي تختلف بطبيعة الحال من دولة إلى أخرى، غير أن الحكومات العربية لم تبقى مكتوفة الأيدي أمام هذا الوضع، بل سطرت بعض الآليات الرامية إلى تحسين المناخ العام للصناعات التقليدية المحلية مثل عقد المؤتمرات والندوات حول الموضوع، إنشاء الهيئات الراعية للصناعات والحرف التقليدية فضلاً عن التنسيق مع الجهود الدولية الهادفة إلى حفظ التراث العالمي.

فالصناعات التقليدية العربية بحاجة إلى دفعة قوية لتلعب الدور المنوط بها، وهذا لا يتحقق بتظافر الجهود بين جميع الهيئات الحكومية والمؤسسات ومنظمات المجتمع المدني، فلا بد أن تتحد جميع الوزارات المعنية، كوزارة السياحة، وزارة التجارة، المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، وزارة التضامن الوطني، وزارة الثقافة وغيرها، لرسم خطة واضحة المعالم للرقى بالصناعات التقليدية، والعمل على تجسيدها ميدانياً، ولعل أهم نتائج الدراسة الحالية تمثلت في:

- تلعب الصناعات التقليدية دوراً تنموياً في الصناعات العربية من خلال المساهمة في الناتج المحلي الوطني وتوفير مناصب الشغل والحفاظ على النسيج الاجتماعي وتماسكه.

- تصنف الصناعات التقليدية حسب عدة معايير إلا أن أشهرها هو معيار المادة الخام المستخدمة في الصناعة والمستخلصة من مصدر حيواني أو نباتي أو غيرهما.

- الصناعات التقليدية في المغرب العربي وشمال إفريقيا ذات قدرة تنافسية أكبر مقارنة بمثيلاتها في الدول العربية الأخرى.

- إن دراسة الصناعات التقليدية تتطلب استحضار بعض المعايير الجوهرية كالانتشار والتغير وحالة السوق وغيرها.

- الصناعات التقليدية العربية تواجه تحديات حقيقية مثل شح المعلومات لدى الجهات القائمة، عدم وجود استراتيجية قومية واضحة وعجز الكيانات العملاقة الحكومية عن مساندة ذلك القطاع إلى غيرها من المعوقات والتحديات.

- أمام الحكومات العربية الكثير لتعمله لحفظ الصناعات التقليدية من الاندثار مثل تطوير المشاريع الهادفة إلى تحسين جودة الأعمال الفنية بالتعاون مع مراكز ومؤسسات التعليم العالي في مجال الحرف والصناعات التقليدية.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم، أمير. (2019). الحرف اليدوية.. العملاق المقيّد. Consulté le juillet 18, 2020, sur <http://www.mawhopon.net/?p=2931>
2. أبو اليزيد، أشرف. (2007). المسلم فنانا. Consulté le juillet 19, 2020, sur <http://www.3rbi.info/Article.asp?Rate=1&ID=8405>
3. الانصاري، رؤوف محمد علي. (2019). توظيف الصناعات والحرف اليدوية في المجال السياحي. Consulté le juillet 19, 2020, sur <https://m.annabaa.org/arabic/development/19560>

4. الشامسي, نجيب عبد الله. (2003). الصناعات والحرف التقليدية وأهميتها لاقتصاد الإمارات, 18, 07 Consulté le .
sur <https://www.albayan.ae/economy/2003-03-16-1.1254444> 2020, البيان الاقتصادي :
5. الفضلي, ناصر. (2012). المؤتمر الدولي الأول لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية – لندن. لندن. SCR LONDON :
6. المسعودي, ليلى جواد. (2019). الصناعات التقليدية والحرفية ودورها في تنمية القطاع السياحي في محافظة النجف الشريف. مجلة اهل البيت, 01(23), pp. 469–492.
7. اليونسكو. (2002). المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية. Consulté le 07 20, 2020, sur منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة <https://ich.unesco.org/ar/-00057> :
8. بزي, علي. (2011). الحرف التقليدية أهمية ومنهجية دراستها. مجلة الثقافة الشعبية, 04(12), pp. 130–145.
9. عبد الراشد, راشد, & خضير, محمد. (2008). الصناعات الحرفية في قضاء أبي الخصيب (دراسة في الجغرافيا الصناعية). مجلة دراسات البصرة, 05, pp. 67–94.
10. محمد, جهانة. (2018). الصناعات المتزلية. عمان-الأردن: اليازوري للنشر والتوزيع.
11. مركز دراسات المملكة العربية السعودية. (2017). الحرف التقليدية و القديمة في السعودية, 19, juillet Consulté le .
sur <https://ksastudies.net/ksa/%d8%a7%d9%84%d8%ad%d8%b1%d9%81-%d8%a7%d9%84%d8%aa%d9%82%d9%84%d9%8a%d8%af%d9%8a%d8%a9-%d9%88-%d8%a7%d9%84%d9%82%d8%af%d9%8a%d9%85%d8%a9-%d9%81%d9%8a-%d8%a7%d9%84%d8%b3%d8%b9%d9%88%d8%af%d9%8a%d8%a9/> 2020, دراسات المملكة العربية السعودية :
12. موقع مباشر, (2018), نمو 32.5% في صادرات المغرب من المنتجات التقليدية خلال 2017. Consulté le juillet .
sur <https://www.mubasher.info/news/3218690/%D9%86%D9%85%D9%88-32-5-%D9%81%D9%8A-%D8%B5%D8%A7%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%84%D9%8A%D8%AF> 22, 2020, موقع مباشر السعودية, -32-5-%D9%81%D9%8A-%D8%B5%D8%A7%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%84%D9%8A%D8%AF :
13. مهران, إيمان. (2014). مصداقية تنمية الحرف لتقليدية في العالم العربي. مجلة الثقافة الشعبية, 07(24), pp. 160–167.
14. Atieh, A. (2013). Developing Handcrafts and Traditional Markets as an Approach to Promote Cultural Tourism; Reality Challenges and Development Ways in Syria. (T. University, Éd.) Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies, 35(05), pp. 10-29.
15. Oxford Encyclopedia. (2008). Oxford Encyclopedia of the Modern World. Consulté le 07 20, 2020, sur Oxford Reference: <https://www.oxfordreference.com/view/10.1093/oi/authority.20110803105225109>